عرفت هؤلاء

بقلم : انور السادات

انهما يظهران فى كل مكان . جيوبهما ممتلئة بالمال . ولا أحد يحاسبهما على كيفية صرفه ! جاءا باموال مزيفة ولا قيمة لها ، وضحكا على البنك الاهلى المصرى ، فصرف لهما ما يقابلها من اموال حقيقية ، وثمينة !

ولم تكن المخابرات البريطانية غافلة عما يفعله الجاسوسان الالمانيان . فاسلوب المخابرات البريطانية كان يعتمد دائما على تجنيد اكبر عدد ممكن من العاملين فى الملاهى ، والمقاهى ، وصالات اللهو ، والكباريهات . والجاسوسان الالمانيان كانا من اشهر المترددين على الكباريهات وعلب الليل ، فسقطا بسهولة فى شباك المخابرات البريطانية !

عزيز المصرى يلتقى بجواسيس هتلر!

جاء دوره فى نهاية احدى الفرق الحتمية . وهى فرقة تعليم ، لابد ان يؤديها ضابط الجيش ، كشرط للترقى الى رتبة اعلى وقتها كنت اخدم فى الجراولة ، بالقرب من مرسى مطروح . وجاءت اشارة باستدعائى الى القاهرة لنهاية الفرقة الحتمية ، وكان مكانها مدرسة المشاة .

وتركت الجراولة غير اسف عليها ، وسعدت بعودتى الى القاهرة . ليس حبا فى الاقامة فيها ، وانما لاعادة اتصالاتى بالضباط لاختار من بينهم من يشكل معى حركة الضباط الاحرار . وكانت تلك الاتصالات قد انقطعت ، عندما نقلت - بامر من المخابرات العسكرية - للخدمة بعيدا عن المدن ، واختاروا لى الجراولة فى قلب الصحراء الغربية . لا لشىء الا لقطع كل صلة لى بالضباط ، بصفة عامة ، وبعزيز المصرى ، بصفة خاصة !

تركت الجراولة وعدت الى القاهرة ، والتحقت بمدرسة المشاة . وفى هذه الاثناء كان عزيز المصرى قد قبض عليه ، هو وحسين ذو الفقار صبرى وعبدالمنعم عبدالرءوف ، بعد فترة من سقوط الطائرة التى حاولوا الهرب بها الى بيروت للاتصال هناك بالالمان .

ولم تتحمل صحة عزيز المصرى الاقامة فى السجن . فنقلوه الى المستشفى العسكرى ، ووضعوه تحت الحراسة . ولم اعدم وسيلة للاتصال بعزيز المصرى . فقد كان والدى يعمل فى نفس المستشفى العسكرى . ولذلك تعودت ان اذهب الى ذلك المستشفى ، لزيارة والدى ، ثم اتسلل فى هدوء الى حيث يرقد عزيز المصرى ، وامضى معه بعض الوقت ، ثم نفترق على ان نلتقى بعد يوم او يومين .

وبسرعة اعدت اتصالاتى بالضباط . حقيقة ان عيون المخابرات العسكرية كانت تلاحقنى ، خاصة بعد ان فشلوا فى الايقاع بى واثبات علاقتى بحادث سقوط الطائرة ، وفشل محاولة الهرب . ولكن المراقبة خفت الى حد ما بعد ان تم القبض على عزيز المصرى ، وانشغلت عيون المخابرات بقضايا اخرى ، جديدة .

كنت اذهب الى مدرسة المشاة فى الصباح ، ثم اتفرغ تماما - بعد الظهر - لاتصالاتى السرية مع الضباط .

فى هذه الايام جاءت ورقة ؛ فمراير الشهيرة . وبعد فترة قليلة ، اصدر رئيس وزراء مصر - مصطفى النحاس باشا - امرا بالعفو عن عدد من المسجونين السياسيين . وشمل العفو عزيز المصرى وحسين ذو الفقار صبرى وعبدالمنعم عبدالرءوف . وصدر الامر باعادة حسين ، وعبدالمنعم الى الخدمة ، مرة اخرى ، فى الجيش . ولكنهما لم يخدما فى سلاح الطيران . كسابق عهدهما قبل حادث محاولة الهرب . وانما نقلا للخدمة فى الحفيفية .

وبدأت اعاود زيارة عزيز المصرى فى منزله بعين شمس . وكنت اشعر بعيون المخابرات تتعقبنى . ولذلك كنت احاول دائما الهروب منها . وخداعها . فقد كنت اذهب اليه فى ساعة متاخرة من الليل . ولم اكن اتوجه الى منزل عزيز المصرى مباشرة . بل كنت الف ، وادور ، فى حى عين شمس ، حتى اتوخ من ورائى ويتعقب خطواتى . وعندما اتاكد من انى نجحت فى الهروب من رجل المراقبة ، اتوجه الى بيت عزيز المصرى رأسا . وكنت اعرف عن عزيز المصرى انه لا ينام مبكرا . وانه يحب السهر لساعة متأخرة من الليل . ولذلك كنت ازوره - عادة - قبيل ، او بعد منتصف الليل . ولم اكن اطرق داره من الباب . بمعنى انى لم اكن ادق على باب البيت . وانما اتفقت معه على ان الف حول المنزل ، حتى اصل الى قرب نافذة غرفة نومه ، التى كنت اجدها مضيئة دائما . واحيانا كنت امسك بحجر صغير واقذفه ناحية زجاج النافذة . واحيانا اخرى كنت اقترب من النافذة . وادق على زجاجها برفق .

وعلى الفور كان عزيز المصرى يظهر امامى فى النافذة . ويعطينى اشارة الامان ، لاتوجه من فورى الى الباب الذى اجده مفتوحا . وعزيز المصرى فى انتظارى .

وتعودت على الجلوس عند عزيز المصرى ساعات طويلة ، فى كل مرة ازوره فيها فى منزله بعين شمس . كنت اجد سعادة ما بعدها سعادة فى الانصات الى ما يقوله لى عزيز المصرى من تجارب ، ومن دروس فى الحياة ، والحرب ، والقتال ، والثورة ، وكيفية التخطيط من اجلها .

ومن عزيز المصرى عرفت كيفية فشل محاولة الهرب التى قام بها . لقد عرفت منه ان الالمان ارسلوا بالفعل احدى طائراتهم التى وصلت الى جبل رزة فى اليوم والساعة المتفق عليهما من قبل . وقد توجه عزيز المصرى ومعه عبدالمنعم عبدالرءوف بالسيارة التى سبق ان اشتريتها لهما من وكالة البلح . ولكن السيارة تعطلت فى الطريق . ولم يتمكنا من الوصول الى جبل رزة - فى طريق الفيوم - مما افشل خطة الهرب . واضطرت الطائرة الالمانية الى الاقلاع بدون عزيز المصرى . والعودة مرة اخرى الى بيروت !

وحدثنى عزيز المصرى عن المحاولة الثانية التى قاموا بها . وفشلت هى الاخرى . وهى المحاولة التى سقطت فيها الطائرة التى كان يقودها حسين ذو الفقار صبرى . وادى هذا السقوط الى انكشاف امر المحاولة . والقى القبض على عزيز المصرى ، وحسين ذو الفقار ، وعبدالمنعم عبدالرءوف .

وكنت افتح قلبى لعزيز المصرى . واحدثه عن احوال البلد التى لا تسر احدا . فالاوضاع تتدهور من سيىء الى اسوأ . ورجال السياسة يتخبطون . وينصارعون فيما بينهم ، من اجل مصالحهم الخاصة وليس ابدا من اجل بلادهم وشعبهم !

وجاءت الطامة الكبرى ، عندما فرض الانجليز جبروتهم . وجاءوا بوزارة ٤ فبراير برياسة مصطفى النحاس . وحدثت الازمة بين الملك والوزارة . الملك لا يطيق الوزارة ، والوزارة تحاول ان تتحدى الملك . والشعب المسكين يقف يتفرج على هذا الصراع ، وهو يتحسر على حاله ، وعلى الهاوية التى تغيب فيها مصالحه واحلامه .

فى هذا الوقت كانت قوات المانيا بقيادة روميل ، تتقدم وتحقق اعظم انتصاراتها ضد قوات الحلفاء وتكتسحها معركة بعد اخرى . ففى قفزة واحدة اخترق روميل حدودنا عند ليبيا ، ووصل الى مرسى مطروح . واستطاع ان يمزق الجيش الثامن البريطانى شر ممزق . ومن مرسى مطروح توجه روميل على الفور الى العلمين .

واصبح الطريق الى الاسكندرية مفتوحا امام روميل !

ولكن روميل توقف عند العلمين . ولم يتقدم . وكنا جميعا ننتظر ان يواصل روميل تقدمه وانتصاراته دون ان يعترضه عائق ، او مانع حتى مصطفى النحاس باشا - رئيس الوزراء - توقع وصول روميل الى الاسكندرية . فاعطى اوامره الى محافظ الاسكندرية بتسليم المدينة للالمان فور وصول طلائعهم!

حتى القيادة البريطانية ذاتها لم تكن تفكر فى مقاومة الزحف الالمانى القادم فى الطريق . فقوات بريطانيا فى مصر كانت فى حالة يرثى لها . ولم يكن هناك اى امل فى وقف هذا الزحف . لدرجة ان رياسة القوات البريطانية كانت تتوقع الهزيمة مقدما . فاصدرت بحرق جميع الاوراق والمستندات ، حتى لا تقع فى ايدى الالمان فى حالة تقدمهم ، وانتصارهم .

ليس هذا فقط بل وسمعنا عن خطة انجليزية لاغراق الدلتا ، فى محاولة منهم لمنع الالمان من التقدم ، وعرقلة تحركهم ! وسمعنا عن اتفاق بين الانجليز والحكومة لاغراق الدلتا ، وان كانت الحكومة حاولت ان تبرىء نفسها فيما بعد ، ونفت حدوث هذا الاتفاق مع الانجليز لاغراق البلاد !

يومها قلت لعزيز المصرى ان من المستحيل أن يحدث هذا كله ، ونقف لمجرد الفرجة عليه .

وسألنى عزيز المصرى ؟

- وماذا تقترح ؟

فقلت له :

- اولا : يجب ان نسمع هروب انجليزى واحد من القاهرة . ثانيا : يجب ان نتصل بروميل ليعرف ان فى مصر حركة وطنية ، لاصلة لها بالملك ولا بالحكومة التى فرضها الانجليز فرضا . علينا ان نقنع روميل بان الحركة الوطنية تعمل من اجل مصر فقط . وهدفها الاوحد هو نيل الاستقلال والحرية ، وطرد المحتل .

واستمع عزيز المصرى الى كلامى . ولم تستطع ان تجد وسيلة تحقق لنا الاتصال بروميل .

وشاءت الصدفة الغريبة ان يضطر زميل لى يخدم فى سلاح الطيران - واسمه حسين عزت - ويقول لى :

- لى صديق اسمه عبد المغنى سعيد - الذى شغل منصب وكيل وزارة الشئون ايسا بعد - وله قريب متزوج من سيدة المانية يقيم معها فى شقة بحى الروضة . ومنذ ايام جاء ضابطان المانيان لزيارة قريبة احدهما - السيدة الالمانية المتزوجة من الرجل المصرى قريب عبد المغنى سعيد - وعرفت انهما يعدان لوصول روميل وقواته الى القاهرة .

وسألت :

- وكيف وصلا الى هنا ؟

واجاب حسين عزت :

- لقد ارسلهما روميل ، عندما كان فى ليبيا ، الى مصر عن طريق الواحات الخارجة . وقد تنكر الضابطان الالمانيان فى زى وهيئة الضباط الانجليز . ووصلا بالسيارة حتى اسيوط . وهناك تركا السيارة واستقلا القطار بمنتهى البساطة فى طريقهما الى القاهرة . ولم يشتبه فيهما احد سواء من المصريين او من الانجليز . المصريون تصوروا انهما من الضباط البريطانيين ، والانجليز تعاملوا معهما كزملاء وابناء وطن واحد !

وعرفت من حسين عزت ان احد الضابطين اسمه ابلر . وكان يقيم فى صغره فى مصر مع والدته الالمانية التى تزوجت من مصرى اسمه صالح جعفر - الله يرحمه - وكان مستشارا بالقضاء .

وكانت تلك السيدة قد انجبت هذا الغلام من رجل المانى لغير ، ثم تركته وتزوجت من المستشار المصرى الذى رافق على ان تحضر معها ابنها ليقيم معهما فى القاهرة ويعامله كابنه تماما . وبالفعل اعطاه : اسم : حسين ابلر . وعندما انهب صالح جعفر من زوجته الالمانية غلاما اخر اسماه حسن . ولكن هناك مابين حسن وحسين . فالاول - ابن صالح - كان مثل الاخلاق ، وحسن الطباع ، وكريم الاخلاق . اما اخوه - من امه - حسين فقد كان قاسيا بكل معانى هذه الكلمة من معنى ! وقد حاول زوج والدته الكثير من اجل اصلاحه ، وتقويمه ، دون جدوى . فما كان من صالح جعفر الا أن طالب من زوجته ان تعيد ابنها الى المانيا مرة اخرى ليقيم هناك مع اسرتها . خوفا على ابنه حسن من تقليد مساوىء اخيه حسين !

وبالفعل عاد الشاب الالمانى الى المانيا . وهناك التحق بالجيش ، كمجند . وعندما عرفوا انه يجيد اللغة العربية . ويتحدث باللهجة المصرية كأحد ابنائها تماما ، فكروا فى استغلاله كعميل للمخابرات الالمانية ، ويعمل لحسابها داخل مصر .

وهكذا عاد حسين ابلر الى القاهرة مرة اخرى . ولكنه جاءها هذه المرة كضابط مخابرات المانى وليس كابن لسيدة المانية تزوجت من مواطن مصرى !

ولم يستطع الجيش الالمانى ان يخلص حسين ابلر من فساد اخلاقه . وانحرافاته . فعندما وصل الى القاهرة ، نسى المهمة الخطيرة التى يقوم بها ، وفكر اول ما فكر فى ملذاته . وفى زيارة البارات . والكباريهات . وصالات اللهو . التى تعود على ارتيادها قبل ان يطرده زوج والدته من مصر . خوفا على ابنه منه .

وفى حين ان ابلر هذا كان يجيد اللغة العربية اجادة تامة . فان زميله الاخر لم يكن يعرف حرفا واحدا من اية لغة اجنبية اخرى غير لغته الاصلية الالمانية .

وكان معهما كمية ضخمة من الجنيهات الاسترلينية المزيفة . والتى قامت المخابرات الالمانية بتزويرها وطبعها لهما فى اليونان ! وبمجرد وصولهما الى القاهرة . ذهبا الى البنك الاهلى المصرى واعطيا له جنيهاتهما الاسترلينية المزيفة . واخذا مايقابلها من الجنيهات المصرية السليمة !

وكان ابلر يعرف السيدة الالمانية - فراو عامر - المتزوجة من مصرى . فذهب مع زميله - واسمه ساندى - لزيارة فراو عامر . ثم تركاها وذهبا للبحث عن سكن لهما . وكان الضابط ساندى مسئولا عن جهاز اللاسلكى الذى معهما . وأراد ابلر أن يصرف زميله عن تأدية المهمة التى وصلا من اجلها ، فقام بتعطيل جهاز اللاسلكى . حتى تنقطع صلتهما بالقيادة . ولايكلفا باى عمل ! فهدف ابلر الاول هو التسلية ، وتمضية الليل فى الصالات وبين الارتيستات ! وكان مكانهما المفضل هو ملهى الكيت كات .

وهناك التقى ابلر وزميله مع حكمت فهمى ، وكانت مطربة معروفة فى هذا الوقت . وتذكرت حكمت فهمى ابلر على الفور فقد كانت تعرفه قبل ان يطرده زوج والدته من مصر .

ووجد ابلر فى حكمت فهمى خير معين . فهى التى بحثت لهما عن المكان الهادىء اختارت لهما عوامة - ذهبية - راسية امام مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية . وكتبت اسمها فى عقد تأجير العوامة . ودفعت ايجارها لصاحبها . ثم حاسبت الضابطين عليه بعد ذلك .

واطلق الضابطان العنان لافراحهما ..

فهما يظهران فى كل مكان . جيوبهما ممتلئة بالمال . ولا أحد يحاسبهما عليه . جاءا بأموال مزيفة ولا قيمة لها ، وحصلا مقابلها على أموال حقيقية ، وثمينة . وأخذا يصرفانها بلا حساب مما لفت اليهما الأنظار هنا وهناك . فساعات النهار يقضيانها فى النزهة ، والتردد على المحلات العامة . والاندية ، وصالات الشاى ، مثل محل جروبى فى شارع سليمان باشا . وفى المساء وحتى نهاية السهرة يتنقلان من صالة الى اخرى ، ومن كباريه الى كباريه . وعندما يعلن اصحاب الملهى عن اضطرارهم لاغلاق الملهى ، عند الفجر ، كانا يصحبان معهما عددا من الاصدقاء والصديقات لمواصلة السهرة الصاخبة فى العوامة النيلية التى لاينقطع عنها الضجيج والصخب والضحكات لحظة واحدة !

ولم تكن عين المخابرات البريطانية غافلة عما يحدث .. !

فاسلوب المخابرات الانجليزية كان دائما تجنيد اكبر عدد ممكن من العاملين فى الملاهى ، والمقاهى ، والمطاعم ، والاندية ، للعمل لحسابها وتزويدها باكبر كمية ممكنة من المعلومات عن رواد تلك الأماكن من مصريين وغير مصريين . ومن المؤكد ان عملاء المخابرات البريطانية نبهوا الى هذين الاجنبيين ، والى المال الكثير الذى يصرفانه بلا حساب .

المهم ان زميلى حسين عزت جاءنى ليخبرنى بوصول ابلر وزميله ساندى ، وزيارتهما للسيدة الالمانية المتزوجة من الدكتور عامر . وكشف لى عن حقيقتهما . وعن انهما يقومان بنشاط مريب فى مصر لحساب روميل !

وقلت لحسين عزت :

- عظيم . اريد ان القى بهما على الفور !

وبالفعل ذهب حسين عزت ، ثم عاد ومعه ابلر وساندى . وعرضت عليهما ان تذهب حميعا لمقابلة عزيز المصرى . فهو يمثل الشخصية الكبيرة للحركة الوطنية المصرية التى كنا نقوم بها .

ورافقنا ..

وذهبنا جميعا لمقابلة عزيز المصرى . واستمع اليهما ، ثم وافق على الاتصال بالالمان عن طريقهما . ونظر ناحيتى وقال :

- شوف طلباتهم يا انور . واتفق معهم على كل شىء ، واخبرنى بالتطورات اولا بأول .

وتركنا بيت عزيز المصرى ، وعدنا الى منازلنا بعد ان اتفقت على ان ازورهما فى العوامة التى يقيمان فيها ، فى اليوم التالى . وكان يوم جمعة .

وفى صباح اليوم التالى ، توجهت الى مكان العوامة . وبمجرد اقترابى منها . لاحظت الخطأ الشنيع الذى وقعا فيه . فقد شاهدت ايريالين ، بدلا من ايريال واحد ، فوق العوامة . فى هذه الايام كانت اجهزة الراديو تحتاج الى ايريال يرتفع فوق سطح المنزل . وكان المفروض ان اجد ايريال واحدا فقط فوق العوامة . ولكن المفاجأة المذهلة التى وجدت ايريالين اثنين . وهذا يعنى وجود جهاز لاسلكى سرى داخل العوامة ، بالاضافة الى جهاز الراديو العادى !

لحظتها شاكت من أن المخابرات البريطانية على علم بوجود هذين الجاسوسين . وهو ماتبينته بالفعل فيما بعد !

ودخلت الى العوامة . فوجدت انهما فى فراشهما . وقد ارتفع شخيرهما ! فقد سهر الجاسوسان الخطيران حتى الفجر فى ملهى الكيت كات كعادتهما منذ وقت قليل . جيران ارجلهما من فرط الشغب ، والسهر ، والسكر !

وقفت انظر اليهما واسأل نفسى :

- هل يصدق أحد ان تبلغ السذاجة بهذا الى هذه الدرجة ؟!

أنور السادات